إشكالية الالحاد في تصور اهل الأديان للاله وموقفهم من العلم

The problem of atheism in the religious people's perception of God and their position on science

بابان عطا علي

جامعة السليمانية – كلية العلوم الإسلامية– قسم أصول الدين

baban.atta@univsul.edu.iq

باشراف: ا.د ضياء حبيب توفيق

dheyih.tofiq@univsul.edu.iq

الملخص

إن وباء الإلحاد كان موجودا عبر الزمان وله أسباب عدة لا تنحصر، إذ تتناول هذه الدراسة على أحدى الأسباب التي تتعلق بقضية التصور الالهي المادي للإله عبر بعض الصفات الإلهية في نصوص الأديان السماوية، وتأثيراتها على معتقد الإنسان المتدين وتأسيسه على مفاهيم مادية وقومية وعنصرية في نظرته للإله والكون والإنسان، ومقارنة هذا التصور بنقيضه في القران الكريم الذي يؤسس للنظرة المعنوية التنزيهية لله سبحانه وتعالى، وللكون والإنسان والحياة والمساواة بين الخلق، لإظهار مدى الفارق بين الكلام الإلهي في القرآن الكريم والكلام البشري في التوراة والانجيل وتفاسير الناقصة الفهم، وهذا الانحراف الفكري يرجع في الاساس إلى أسباب داخلية أكثر من ما تكون أسباباً خارجية، ففي هذا البحث نتطرق فقط إلى الأسباب الداخلية النابعة من فهم المعتقدين أنفسهم، دون الالتفات إلى الأسباب الخارجية، وهي هنا تقتصر على تصور أهل الأديان للإله عبر نصوصهم، وموقفهم من العلم، وإن كان عند أغلبهم من غير قصد، لكنه بلا شك شكل فجوة منهجية في نهجهم الديني، وانعكس سلباً على صحة عقيدتهم، وبالتالي جنوح بعض معتقديهم نحو الإلحاد.

الكلمات المفتاحية: ((الالحاد، تصور اهل الأديان للاله، اهل الأديان والعلوم)).

Abstract

This paper deals with the issue of the doctrine material in depicting to God through some divine qualities in quran amd the holy bible, and its impact on peoples belief and its foundation on the concepts of materialism and nationalism and racism in its view of God, the universe and human; and it compares this physical role to its opposite in the Koran as the real tafseer of these ayas, which is established to glorifying view God the Almighty, the universe and human life and the equality of creation. This is to show the extent of the difference between divine words in the qoran and the others books in human speech and purposes

Keywords: ((Atheism, religious people's perception of God, religious people and sciences))

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. وبعد:

فإن الدراسات المتعلقة بالإلحاد كثيرة، وجاءت بعناوين مختلفة عملت معظمها على بيان نشوء الإلحاد وأسبابه وسبل معالجته، وترجمت هذه المحاولات بمؤلفات وكتب وأبحاث علمية، تكاد تكون في أغلبها تركز فقط على السياقات الخارجية لنشوء الإلحاد، الثقافية منها أو الاجتماعية، وكذلك النفسية، تريد من خلالها رصد الفجوات المنهجية التي ساهمت في ظهوره، من دون التفات أغلب الدراسات إلى الجانب الداخلي (الجواني)، أي إلى البنية الفكرية للمعتقد وتصوره للإله في الاديان.

والإلحاد ليس مذهباً مستقلاً يصنف في عرض المذاهب الفلسفية أو العلمية المبنية على مبادىء ومناهج معينة، بل موقفا فكريا وحكما اعتقاديا ورؤية نظرية حول الكون و الانسان وأنه لا يعدو أن يكون ظاهرة سلبية لأنه بالمعنى الجامع لمصطلحه العام و الخاص ورفض الاعتقاد بأية قوى غيبية أو رد فعل تجاه معتقدات محددة أو نتيجة تصورات قاصرة جاءت عن طريق اجتهادات أهل الأديان للخالق وموقفهم من العلم. وبما أن الإلحاد جاء نتيجة لتلك المعتقدات المتصورة عند الأديان، نحاول في هذا البحث أن نحلل مبانيهم الفكرية بمنهج تحليلي نقدي، لبيان وكشف عملية الفهم عند المعتقدين بمعتقد معين، من خلال كشف تصوراتهم القاصرة بخصوص الخالق، وكذلك وموقفهم من العلم وانكارهم لبديهياته.

المبحث الأول: نبذة عن نشؤ الإلحاد

❖ المطلب الأول: تمهيد عن نبذة تاريخية عن نشؤ الإلحاد وتعريف الإلحاد:

الإلحاد من المسائل الفكرية الملحة في عصرنا، ظهر بفعل عدة عوامل جعلت منه منهجاً واعتقاداً عند بعضهم،ان تشكيل السلوك و التفكير كأي ظاهرة إنسانية أخرى يبدو معقدا ويصعب تحديد علله بدقة منضبطة كما هي الحال في الظواهر الفيزيائية او القوانين الرياضية هو عملية واعية تؤثر وتتأثر وتقبل التغيير ولكن يمكن تعديد وتحديد بعض العوامل الرئيسية، ومن تلك العوامل، التصورات القاصرة بخصوص الله تعالى، لاسيما عند أهل الأديان ومفسريهم، مما تسبب لدى بعضهم قلقاً واضطراباً نفسياً،حتى وقفوا عند الرؤية المريضة القائلة بان اصل الكون هو المادة وانه لا وجود لشيء سوى المادة، جاء نتيجة هذه التصورات الدينية القاصرة من جهة، وما يفرضه العقل من ضروريات يصعب نكرانها من جهة أخرى.

والكلام عن جذور الإلحاد في تاريخ الإنسانية يأخذنا إلى سؤال مهم، وهو أيهما أسبق على الآخر الإيمان

أم الإلحاد؟ يناقش الألحاد فطرية الايمان بالله ويرفض انه مغروس في اعماق النفس البشرية و يقلب مقولة الدين: الله خالق الانسان الى الانسان خالق الاله قائلا بعض الملحدين ان الخوف والدهشة والاحلام والروحانية مصادر الدين[١]، لكن اذا اخذنا بالقاعدة التي تقول: ان البرهان المتكامل هو ما يجتمع فيه الامران، الاستدلال على صحة المدعى و إبطال الرأي المقابل، نجد اقوى دليلهم على الأول عدم وجود دليل يثبت وجود الاله دليل على عدم وجوده فالأصل عدم الايمان و لكن دلالة العقل والتأريخ والعلم والقيم الأخلاقية تثبت اصالة الدين ولذا اصعب سؤال يمكن ان يواجه الملحد هو إثبات دعوى الالحاد نجد أن القرآن قد أجاب عن هذا السؤال في عدة آيات، بحيث خلق الله الإنسان مفطورا على الإيمان بالتوحيد مالم تجد الحجب والشهوات طريقها إلى نفسه فتأخذه إلى طريق غير الإيمان بالله، ومن أمثلة ذلك (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا وكنا ذرية من بعدهم)[٢]، ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾[٣]. وكما في قول النبي صلى الله عليه وسلم (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ) [٤].

تعددت المعاني حول لفظ الإلحاد عند اللغويين، إلا أن المشترك بينهم هو اتفاقهم على معنى الميل، فهو الميل عن القصد والميل عن الحق أو الميل عن الوسط الى جانب[٥]، وعند بعضهم «لحد عن القصد: عدل عنه، لحد إلى الشيء يلحد، والتحد: مال، ولحد في الدين يلحد، والحد: مال وعدل. وألحد فلان: عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه.[٦] ويمكن القول بأن الأول استخداماتها في الأمور المادية المحسوسة ثم في الأمور المعنوية للتعبير بالميل عن الحق والصواب الى باطل والضلال ثم اتسع استخدامه في العربية فيما

(١) ينظر أصالة الدين وفطرية الإيمان: السيد علي الحسيني، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء – العراق، ط١، ٢٠١٨م، ص٦ .

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢-١٧٣.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم ١٣٨٥.

(٥) ينظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٩٧٩م)، تح عبد السلام هارون: دار الفكر، ج٥، ص٢٣٦ .

(٦) ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، تح محمد باسل عيون السود، (١٩٩٨م)، ط١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ج٢ص١٦١.

يتعلق بالجوانب المعنوية للدلالة على انحرافات فكرية وسلوكية دون حصولها بشيء معين[١].

الإلحاد اصطلاحا: وعلى ضوء المعنى والدلالة اللغوية عرف الإلحاد في التراث الاسلامي اصطلاحاً: بانه العدول عن الدين[٢] وهو: الطعن فيه أو الخروج عنه[٣]، وجاء في كتاب الكليات «والإلحاد: هو الميل عن الحق.[٤] ويذكر صاحب موسوعة لالاند الفلسفية من أن الإلحاد هو «عقيدة قوامها إنكار وجود الله» وهذا هو المصطلح ذي الأصل الغربي.[٥]

وهناك من يعرفه بأنه «كل موقف أو مذهب ينفي وجود الله، سواء أكان هذا النفي ضمنيا أم معلنا، نسبيا أم مطلقا، سلبيا أم إيجابيا » [٦]، ويعلق صاحب التعريف على هذا فيقرر بأن المقصود بالإلحاد من حيث هو موقف أو مذهب يأخذ قسمين أحدهما عملي والآخر نظري، فالإلحاد العملي هو إغفال البعد الغيبي في التعامل مع الحياة، أما الإلحاد النظري فهو عدم الإقرار بوجود الله.[٧] .

ويتفق مع ما ورد في الفقرة الأخيرة ما يذكره صاحب المعجم الفلسفي في تعريفه للإلحاد بقوله: «والإلحاد في اصطلاحا هو إنكار وجود الله...وربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله».[٨]

فضلا عن هذه التعريفات هناك من يعرفه باعتبار ميزة أساسية فيه، وتعد من أهم أركانه وهي القول

(١) ينظر: مفهوم الإلحاد في تاريخ الإسلامي دراسة تحليلية: د. علي امام عبد العزيز، الدار الإسلامية للطباعة والنشر،٢٠١٩م، مصر، ط١، ص٢٦.

(٢) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: [ت ٥٣٨ هـ]: سورة النحل، أية ١٠٣ ، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت ،الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٣) ينظر: أوهام الملحدين أوهى من بيت العنكبوت، جمع وترتيب: شحاته محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين –دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية–مصر، ص١٧.

(٤) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، تحقيق عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة (١٩٩٨م)، ط٢، بيروت، ص٤٩٠.

(٥) ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندري لالاند، (٢٠٠١م)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، ط٢، بيروت–باريس: منشورات عويدات، مج ١ص١٠٧.

(٦) الإلحاد ضمن كتاب حرية الاعتقاد الديني، جورج طرابيشي، مجموعة من الكتاب، تصنيف وتقديم محمد كامل الخطيب (٢٠٠٥م)،، ط١، دمشق– سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، رابطة العقلانيين العرب، ص٣٨٨.

(٧) ينظر: الإلحاد ضمن كتاب حرية الاعتقاد الديني، جورج طرابيشي، (٢٠٠٥م)، مجموعة من الكتاب، تصنيف وتقديم محمد كامل الخطيب، ط١، دمشق– سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، رابطة العقلانيين العرب، ص٣٨٨.

(٨) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، بيروت–لبنان: دار الكتاب اللبناني،(١٩٨٢م)، ج١، ص١٢٠ .

بأن المادة هي أصل الكون أي ما خلق وما قد يخلق منبعث من التصادمات الكونية فقط وليس فيها أدنى إرادة الهية، وهذا ما يبرزه بعض المشتغلين بالفكر حين يعرف الإلحاد يسمه بالنزعة المادية، فيقول: «الإلحاد -بمعنى إنكار وجود الله- والقول بأن الكون وجد بلا خالق أو أن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت»(١).

وليس ببعيد عنه من ذهب إلى أن «الإلحاد معتقد أسس على المبدأ القائل إن المادة هي المكون الأصلي الأصيل لهذا الكون، مكونه الموجود منذ الأزل دون خلق»(٢) ازلية الكون هي من إحدى فلسفة اليونانية القديمة حيث يؤمنون بأبدتيه أيضا.

والملاحظ في هاته التعريفات أن المعنى المشترك بينهما هو إنكار وجود الله بصورة أخص، سواء كان إنكارا مباشرا أم غير مباشر، والذي نختاره هو أن الإلحاد إنكار للغيب وأبعاده وأثره في الحياة، فيكون ظاهرا بائنا لمن صرح به ويكون باطنا لمن اعتنق أفكارا في ظاهرها إقرار بمبدأ الإله وفي باطنها هدم لمقتضيات كمال الإله من كل الجوانب. هذا مع ان الاصطلاح الالحاد في التراث الإسلامي يستعمل في عدة مواضع منها، عدم الانتماء لدين من الأديان، و الاعتقاد بقدم العالم و عدم حدوثه، ويعتبر مذاهب الفلاسفة اليونانيين كأهم مصدر للفكرتين السابقتين، فالإلحاد بمفهومه في التراث الإسلامي لم يصل في أغلبه الى مرحلة انكار الالوهية ثم تحول الى المعنى ذي الأصل الغربي و الشايع في العصر الحديث(٣).

❖ المطلب الثاني: أنواع الإلحاد بشكل عام:

١. الإلحاد العلمي: يبرر أصحاب هذا الاتجاه إلحادهم بالنظريات العلمية الحديثة، سواء اكانت في مجال العلوم الإنسانية كنظرية التحليل النفسي الفرويدية، ونظريات التدين عند رواد علم الاجتماع، مثل كونت ودوركايم؛ أو كانت في مجال العلوم الكونية، او كالداروينية في علوم الأحياء أو كنظرية الأكوان المتعددة في علوم الفيزياء. وقوانين الفيزياء الكمية، وغيرها من الادلة إما في إثبات عدم الحاجة إلى إله والاكتفاء بوجود قانون كما عند هوكينغ، أو نفي الإله كما عند دوكينز. الالحاد العلمي يعطي الذريعة للملحد، لكنه ابدا لا يقدم المبررات للإيمان بالإلحاد وهذا ما يلتفت له بالعادة، فإن اكتشاف طريقة عمل الشيء أو حدوثه تزودك بالذريعة لنفي الاله لكن الاندفاع نحو الايمان هو موقف فلسفي ونفسي وليس موقفا

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، القاهرة: دار الشروق (٢٠٠١م)، ط٩،، ص٦٠٥.
(٢) رحلة العلم من الإلحاد إلى الإيمان، محمد عادل الحلو، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (٢٠١٧م)، ط٣، ص٣٦.
(٣) ينظر: مفهوم الإلحاد في تاريخ الإسلامي دراسة تحليلية: د. علي امام عبد العزيز، الدار الإسلامية للطباعة والنشر،٢٠١٩م، مصر،ط١، ص٢٦ .

علميا. فالعلم صامت أخلاقيا، لذلك التطور العلمي قد دخل في مجالات لا يزال الانسان الذي يعيش على العرف يرفضها بسبب أثرها الأخلاقي السيء كما حدث مع اكتشاف أسلحة الدمار الشامل، لذلك فالعلم بحاجة الى حارس أخلاقي دائم.(١)

ولا ينبغي الاغتراب بمصطلح العلمية الذي نسبت إليه هذا النوع من الإلحاد، فليس ذلك مدحا في ذاته، وذلك لسببين:

الأول: أنه لا حقيقة بامتلاك العلم الحديث للحقيقة المطلقة التي لا مجال للتشكيك فيها، نعرف أن للعلم مكانته، لكن نرفض الزعم بأن له القدرة الخارقة على تفسير كل شيء، وأن نجعله الحكم في كل نقاش وجودي أو مجتمعي.

والثاني: أن مجرد الانتساب للعلم لا يكفي في تحقيق العلمية، ما لم تتوفر معايير هذا منذ زمن وفي شق مهم منه في متاهات الآراء المسبقة، والأفكار الانتساب، وقد دخل العل الذاتية، التي تستدعى النظرية العلمية لتعزيزها وتبكيت المخالف بها؛ مما ألحقه في بعض جوانبه بالتنظير الفلسفي، وإن كان متدثرا بلبوس العلم، ورافعا شعار المنهجية العلمية الصارمة.(٢)

٢. الإلحاد النفسي: أصحاب هذا الاتجاه مصابون بعقد نفسية من المتدينين مما يجعلهم ينفرون من الدين ككل، وأنهم يرون في الدين حجراً عليهم، ينقل بول فيتز عن الأديب والفيلسوف الأمريكي مورتيمر آدلر بقوله: ((إن صيرورته إلى رجل متدين يتطلب تغير الكثير من طريقة حياته وهذا أمر متعب وليس بالسهل))(٣). لذا نجد بعض الأكاديميين لا سيما في الجامعات الغربية يعلنون إلحادهم طلباً للراحة وسعياً لتحقيق أهدافهم الشخصية. فان التصور المادي لله خصوصا عند الغربيين ومن ماثلهم من مشبهة ومجسمة، وعدم انفكاك صورته عن رجال الدين في تصوراتهم جعلهم يمارسون نوعا من الاسقاط هو في حد ذاته مخالف للمناهج العلمية التي يدعون الالتزام بها ليبرروا الحادهم. وهذا يفسر الحاد كثير من مجتمع المسلمين حتى، ويظهر كيف انه نابع من عقد نفسية اما من رجال الدين او من السلطة الابوية التي يسقطونها على الدين وعلمائه فيتهمونهم بالوصاية والتسلط والاستبداد، او نتيجة تصورات ساذجة في فهم التوحيد والدين، فيلحدون تخلصا منها او نقمة عليها، او يلحدون للتخلص من عقدة الذنب التي ترافقهم نتيجة عدم

(١) ينظر: أنواع الإلحاد نظرة مجملة: علي حمزة زكريا، شبكة الفكر ،٢٠١٦م، ط١، ص١١-١٢.
(٢) ينظر:الإلحاد المعاصر سماته، وأثاره وأسبابه وعلاجها: سوزان بنت رفيق بن إبراهيم المشهراوي، عصام، ١٤٣٩-١٤٤٠هـ- نُشر على موقع: مركز يقين، بتاريخ، ٢٠١٧ / ١٢ / ١٤.
(٣) Vitz. C Paul بروفيسور علم نفس أمريكي في جامعة نيويورك له دراسات ومقالات منشورة عن عالقة الإلحاد.

رغبتهم بالدين والتدين[١]. كثيراً من علماء النفس يتبنون موقفاً معارضاً للدين، ولذلك كانوا يعارضون أي محاولة لتسليط الضوء حول سيكولوجية الإلحاد، لأن هذا الموضوع يجعلهم في موقف دفاع عن أنفسهم، ولكن حان الوقت لطرح هذه القضية للدراسة.

وأن أغلب الملحدين ليس عندهم أسباب عقلانية للإلحاد (rational)، وإنما هي دوافع نفسية (psychological factors) ثم ادلر عن قصة إلحاده فيقول: إنه نشأ نشأة مسيحية ضعيفة، ثم أصبح ملحداً عندما كان طالباً في الكلية في الخمسينيات ١٩٥٠م، ثم إنه استمر ملحداً في بدء حياته العملية في هيئة التدريس بجامعة نيويورك – قسم علم النفس التجريبي. إلا أن الغريب فعلاً، هو رجوعه إلى دين المسيحية في غمرة حياته العلمية آخر الثلاثينيات من عمره.

يقول: وطوال سنوات إلحاده العشرين (١٨ – ٣٨ سنة) لم يكن عنده أسباب مقنعة للإلحاد، كانت دوافعه سطحية وغير عقلانية، وإلى حد كبير من عدم النزاهة الفكرية أو الأخلاقية. (superficial, irrational, and largely without intellectual or moral integrity) وهو مقتنع أن هذه الدوافع اللاعقلانية هي التي وراء إلحاد من ألحد من المفكرين، خصوصاً علماء الاجتماع.[٢]

٣. الإلحاد الفلسفي: ولد في سياق الصراع الممتد على طول التاريخ تقريبا، حول الكائن القدس.

الأسمى الله، والذي طرحت في ظله كل الأسئلة الجوهرية التي شغلت تاريخ الفلسفة، وعبرت عن الانشغال حقيقي بالوجود الإنساني، من قبيل: أصل الخلق، وجذور الشر وجدوى الخير، ومصير الإنسان، ومغزى الحياة، ومعنى الموت، وما بعد الموت الخ. يقوم هذا النوع من الإلحاد على مصطلحات فلسفية ومنطقية، والتنظير النظري، وحقله هو المباحث الفلسفية والمنطقية المتعلقة بمبادىء العلوم ومسالة الخير والشر، ولا يلتفتون إلى مصطلحات العلوم التطبيقية وغيرها، ومنهجهم في نفي الإله يتركز على أثر الإله على هذا الوجود باستدلالاتهم العقلية، ومن رواد هذا التيار، نيتشه (١٨٤٤–١٩٠٠) في (الإنسان السوبر)، وشوبنهاور (١٧٨٨–١٨٦٠) في (الإرادة)، وأغلب الفلسفات الإلحادية ترفع من قيمة الإنسان وتجعله محور للكون بدلاً من الإله، كما عن الأديان.[٣] يقدم هذا الالحاد نوعا من الخطاب الشبيه بالخطاب

(١) ينظر: أنواع الالحاد، علي حمزة زكريا، ص ٢٠–٢٢ .

(٢) ينظر: نفسية الالحاد، ايمان فاقد الاب، طبعة الثانية، ٢٠١٣، paul c vitz ترجمة مركز الدلائل، ص٢٢٢ .

(٣) ينظر: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية و أسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية :حسن بن محمد حن الأسمري، رسالة علميَّة تقدَّم بها المؤلِّف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية

العقلي، ويمكن تمريره على كل غير متخصص بحيث ينخدع به وبمغالطاته، ويستهدف هذا الالحاد بشكل أساسي ضرب أدوات المعرفة العقلية و تخطئة احكام العقل القطعي، والبديهيات الادراكية. كما ان كثيرا من الفلسفات الالحادية انما هي مجرد خطابات شعاراتية ترفع من قيمة الانسان في قبال أي شيء اخر حتى تجله المحور ثم ترفع من قيمة تلبية احتياجاته المادية حتى يصير الانسان في خدمتها لا هي بخدمته.

وبتعبير د. عبد الوهاب المسيري» تبدأ بسحب المفاهيم من عالم الانسان وتضعها عالم مستقل تسميه (عالم الأشياء) ثم تسحب الانسان نفسه من عالم الانسان وتضعه في عالم الأشياء هذا»[1].

٤.الالحاد الأنثروبولوجي(الإنساني): يُركز علم الإنسان على دراسة البشر في كل تفاصيلهم، بدايةً من أصولهم وتكيفهم وبيئتهم وتوزيعهم وعاداتهم، بالإضافة إلى علم الوراثة البشرية، وصولاً إلى دراسة ماضي ما قبل التاريخ للانتقال إلى الحاضر، من القبائل السابقة إلى المدن الصناعية الحديثة، ومن عادات الحضارات القديمة إلى معتقدات الشعوب الشعبية اليوم. هذا الاتجاه الالحادي يذهب الى الاستدلال بالنظريات الأنثروبولوجية والتشابه فيما بين الحضارات البشرية الى النفي الديانات وتكذيبهم، ومن ثم نفي الاله.

فيستدلون مثلا على زيف القران بكونه احتوى قصة الطوفان والتي يزعمون أنها مسروقة من التراث البابلي، أو قصة اهل الكهف المأخوذة من السريان وهي عندهم باسم اهل مغارة أفسس، وان مكة مأخوذة من «المقة» وهو معبد الوثنين من قوم بلقيس وغيرها. وتحصل هنا إشكالية مضمنة في كلامهم، وهي أنهم يضعون مقدمة كبرى مضمرة تدعي القطيعة ما بين الحضارات والدعوات النبوية السابقة، مما يعني ان كل حضارة أو دعوة نبوية إنما نشأت ونمت معزل عن سابقتها، ودون وجود أي رابط فيما بينها، وعليه فإن أي تشابه بين حضارتين أو نبؤتين يعزي إلى سرقة إحداهما من الأخرى وهذا افتراء لا يدعمه دليل.[2]

٥. الالحاد الاجتماعي: هو التشكيك او النفي او طرح تصور لله او الدين غير التصور الرسمي والشعبي للإسلام، من قبل فرد او مجموعة داخلية تعلن ذلك بالقول او الفعل، او تُتهم من قِبل الجماعة. وهؤلاء ينظرون الى بؤس مجتمعاتهم و انحطاط ما هم فيه على انه نتاج التمسك بالدين، باعتبار ان الالحاد موقف وسلوك معلن ضد الدين بالتالي ضد المجتمع، والدين هو المجتمع ذاته في هذه المجتمعات، ومن هنا يكون الرفض الاجتماعي القاسي مفهوماً، لان الجماعة تحارب دفاعا عن كيانها من الالحاد الذي يضرب

السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، (٢/١٣٠٢)
(١) ينظر: أنواع الالحاد، علي حمزة زكريا، ص ٢٤.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٤.

اساس تماسكها (الدين) ونراهم دائما في مقارنة بين مجتمعاتهم و بين مجتمعات الغربية المعتقة من الدين و يعزون تطورها لذلك. ودافع هؤلاء للألحاد دافع اجتماعي، وهو أنه لو كانت هذه الديانات إلهية لما صح لها أن تكون بمثل هذا السقوط، وبهذه الدرجة من التفشي النفاق بالتالي فإن هذه الأديان مجرد «أفيون للشعوب» لابد من الانعتاق منها كونها سبب للتخلف البؤس. ويخلطون ما بين طبيعة النفس الإنسانية الميالة لاستخدام الغير والامارة بالسوء وما بين الدين، وما بين العادات والتقاليد المبنية على ظروف اجتماعية مختلفة وما بين الشريعة الدينية خصوصا و ان كان هذا الدين ساندا لسلطة غاشمة كما هو الحال مع بعض الأديان و المذاهب الدينية، فيحملون على الله وزر هذا التخلف ليبرروا كفرهم به، لكون ما هم فيه بتصورهم نقيض للعدالة الإلهية. او يعتزون بالهوية القومية التي يتصورنها ندا للهوية الإسلامية التي يرفضونها. واحدى معالهم وهو دوكنز كثيرا ما يستدل بسلوكيات اجتماعية على زيف الأديان و كذبها، وهذا من عجيب القياس و مخالف للمنهج العلمي الذي يفترض به ان يحاكم الأسس لا ان يحكم الظواهر او يتبع الشائع، ولا ينطلق من السلوكيات في نفي العقائد قبل البحث و الخوض منهجيا.[1] وتعامل الملحد كمعاملة الخائن او الغريب او العدو، لان المجتمع يدرك المصدر الخارجي للإلحاد، فيتهم الملحد بالمؤامرة كتحصيل حاصل.[2]

المبحث الثاني: تحرير محل النزاع:

❖ المطلب الأول: الايمان والتصديق المنطقي:

الايمان لغة: وردت معاني متعددة لكلمة الايمان منها:

١-التصديق، أي اذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقا على وزن إفعال فهو مصدر آمن يؤمن إيمانا[3] من الأمن ليت حقيقة أمن به، أمنه من التكذيب والمخالفة، يتعدى باللام كما في قوله تعالى ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق وبالباء كما في قوله عليه السلام (الأيمان ان تؤمن بالله...) الحديث أي ان تصدق وليس حقيقة التصديق ان يقع في القلب نسبة الصدق الى الخبر او المخبر من غير إذعان وقبول بل هو إذعان وقبول لذلك، بحيث يقع عليه اسم التسليم على ما صرح به الامام الغزالي رحمه الله. وهو معنى

(١) ينظر: أنواع الالحاد، علي حمزة زكريا، ص٤٨.

(٢) ينظر: مَوسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجي، شارلوت سيمور سميث، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩ .

(٣) ينظر:لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ) الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، ج١٣/ ص٢٣..

التصديق المقابل للتصور حيث يقال في أوائل علم الميزان(المنطق) العلم إما تصور وإما تصديق.

٢- وقيل هو مشتق من الامن ضد الخوف ومنه قوله تعالى (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ)[١][٢].

تعريف الايمان في الاصطلاح: اختلف العلماء في حقيقة الايمان شرعا، فيما يقع عليه اسم الايمان، على اقوال كثيرة أهمها، القول الأول هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان[٣].

أي بمعنى التصديق بالقلب هو التصديق بالنبي (ﷺ) فيما علم بمجيئه بالضرورة كوحدة الصانع ووجوب الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذلك. وهو الجزء الأول من أجزاء الايمان لا غنى عنه بحال فإذا تحقق وجد أساس الايمان. فان تكلم بكلمة التوحيد (غير معتقد بيها) فهو منافق وليس بمؤمن.

والاقرار باللسان، أي من يقر بلسانه مع القدرة لا يسمى مصدقا، فهو ليس بمؤمن وقد اتفق عليه سلف الامة من الصحابة والتابعين[٤].

والعمل بالأركان، ان الاعمال داخلة في مسمى الايمان والمراد بالأعمال هو أفعال الخير من الطاعات والعبادات مطلقا[٥]. وقد اجمعوا على انه لو صدقه بقلبه واقر بلسانه وامتنع عن العمل بجوارحه انه عاص لله ورسوله (ﷺ) ويستحق الوعيد، وهو الرأي المشهور عند أهل السلف وكثير من الأئمة الزيدية والاباضية والخوارج والمعتزلة[٦]. الا ان أصحاب الفرق اختلفوا في ترك العمل فذهب الخوارج الى ان الايمان هو إعمال الجوارح فترك العمل يخرج صاحبه من الايمان ويدخله في الكفر. وذهب اهل الحديث الى ان ترك العمل لا يخرج عن الايمان. اذ ان السلف جعلوا الاعمال شرطا في كمال الدين ومن هنا نشأ القول بزيادة الايمان ونقصه. فههنا مقامان الأول ان الاعمال غير داخلة في الايمان لما مر من ان حقيقة الايمان

(١) البقرة: ٢٣٩.
(٢) شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٣٥ .
(٣) ينظر: شرح المقاصد: مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بالتفتازاني ،١٤١٩هـ، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ج٥، ص ١٧٥-١٧٩ .
(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨ هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ١٤٠٢هـ، ط٢، ج١، ص٤٠٤.
(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، ص ٣٤٦ .
(٦) ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها: ا.د. قحطان الدوري، كتاب الناشرون، ١٤٣٣هـ، بيروت، ط٢، ص٢٤٥ .

هو التصديق ولأنه قد ورد فب الكتاب والسنة عطف الاعمال على الايمان كقوله تعالى ﴿ان الذين امنوا وعملوا الصالحات﴾ مع القطع بان العطف يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف عليه. و قد ورد أيضا جعل الايمان شرط صحة الاعمال كما في قوله تعالى﴿ومن يعمل من الصالحات و هو مؤمن﴾ مع القطع بان المشروط لا يدخل في الشرط لامتناع اشتراط الشيء بنفسه، وقد ورد أيضا اثبات الايمان لمن ترك بعض الاعمال كما في قوله تعالى﴿وان طائفتان من المؤمن اقتتلوا﴾ على ما مر مع القطع بأنه لا تحقق للشيء بدون ركنه ولا يخفى ان هذه الوجوه انما تقوم حجة على من يجعل الطاعات ركنا من حقيقة الايمان بحيث ان تاركها لا يكون مؤمنا كما هو رأي المعتزلة، لكن لا على مذهب من ذهب الى انها ركن من الايمان الكامل بحيث لا يخرج تاركها عن حقيقة الايمان كما هو مذهب الشافعي.

والمقام الثاني هو ان حقيقة الايمان لا تزيد ولا تنقص، لأنه التصديق القلبي الذي بلغ حد الجزم والإذعان والقبول هذا لا يتصور فيه الزيادة ولا نقصان حتى ان من حصل له حقيقة التصديق فسواء أتى بالطاعات أو ارتكب المعاصي فتصديقه باقي على حاله لا تغير فيه أصلا. والآيات دالة على زيادة الايمان محمولة على ما ذكره أبو حنيفة من أنهم كانوا آمنوا في الجملة ثم يأتي فرض بعد فرض فكانوا يؤمنون بكل فرض خاص، وحاصله انه كان يزيد بزيادة ما يجب الايمان به وهذا لا يتصور في غير عصر النبي (ﷺ)،[1] أي ان الايمان كان يزداد مع الواجبات التي توجب على المسلمين حيث كانت دعوة الإسلام متدرجة لما كان اول ١٣ سنة الأولى فقط بعض من الفرائض وبعدها بدأ الدعوة نحو الجهاد والزكاة والصوم والمعاملات.

بخلاف المعتزلة التي جعلوها شرطا في صحة الايمان وليس في كمال الدين[2].

إما القول الثاني: الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان دون غيرهما من الجوارح. هو مذهب اغلب الحنفية ذهبوا لتعريفهم للأيمان بأنه هو الإقرار والتصديق، أما الاعمال فهي ليست داخلة في مفهومه لأن الله تعالى عطف الأعمال الصالحة على الأيمان بقوله (انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[3] البقرة ٢٧٧ .

فالمعطوف غير المعطوف عليه وكذا الايمان شرط صحة العمل.

والقول الثالث: الايمان هو التصديق بالقلب فقط الإقرار باللسان والعمل ليسا بركني للأيمان عندهم

(١) ينظر: مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية، ط١ ٢٠٠٨، ج١، ص١٧٩-١٨٢ .
(٢) ينظر: فتح الباري بشرح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ، ج٢، ص ٢٤٦.
(٣) البقرة: ٢٧٧.

وانما هما من فروعه[١]. وهو تعريف الجهمية للأيمان، فقد شذ جهم بن صفوان عن جميع الفرق الإسلامية في تعريفه للأيمان فقال (الايمان هو مجرد معرفة الانسان ربه بقلبه، الايمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل)[٢] فيكون الايمان عندهم المعرفة بالقلب فقط دون التصديق بالقلب والإقرار باللسان.

والتعريف المشهور عند اهل السنة والجماعة هو التصديق بما جاء به النبي(ﷺ) من عند الله تعالى أي تصديق النبي (ﷺ) بالقلب في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله تعالى إجمالا، وأنه كاف في الخروج عن عهدة الأيمان ولا تنحط درجته عن الايمان التفصيلي أي المشرك المصدق بوجود الصانع وصفاته لا يكون مؤمنا الا بحسب اللغة دون الشرع لأخلاله بالتوحيد وكما في ألأية ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾. والإقرار باللسان الا ان التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلا لكن الإقرار قد يحتمله كما في حالة الإكراه[٣].

وذهب جمهور المحققين الى انه التصديق بالقلب وانما الإقرار شرط لإجراء الاحكام في الدنيا لما ان التصديق بالقلب أمر باطن لا بد له من علامة، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله تعالى وان لم يكن مؤمنا في احكام الدنيا ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس، وهذا هو الاختيار الشيخ أبي منصور. وكما في الآيات ﴿أولئك كتب في قلوبهم الايمان﴾ ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ ﴿ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾.

يتبين لنا ان الفرق الإسلامية ليست متفقة على عناصر الايمان في تعريف واحد. بل اتفقوا على الأيمان هو التصديق. والتصديق مكانه القلب، وليس العقل، كما جاءت به اللغة في احدى معانيها. وهو يتضمن الميل والانجذاب إلى الشي وإلا فلا يتحقق الايمان بالشيء.

بينما التصديق المنطقي يعني وجود دليل على أن هذا الشيء موجود في الواقع، والدليل قد يكون عقلياً وقد يكون نقلياً أو الهاماً، ولا ملازمة بينهما قد يحصل التصديق ولا يكون له إيمان. التصديق المنطقي من أقسام العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية وذلك لأنا اذا تصورنا النسبة بين الشيئين وشككنا في أنها بالإثبات أو النفي ثم أقيم البرهان على ثبوتها فالذي يحصل لنا الإذعان والقبول لتلك

(١) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ج١، ص٨٨ .
(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ ط٣، ص١٤٩.
(٣) الآية ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾، سورة النحل: ١٠٦.

النسبة اضطراراً؛ وامتياز التصديق المنطقي على الايمان أن الأول ضروري بينما الثاني اختياري كما يقول الله تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)، ولا ملازمة بينهما. لان المعرفة (التصديق المنطقي) قد يكون بدون إيمان، فالعلم غير الايمان، لأن الأول ثبوت المحمول للموضوع، بينما الثاني عقد القلب بمضمون القضية. والعلاقة بينهما (الايمان والتصديق المنطقي) علاقة تكاملية وهي إذا تحقق التصور أولاً وقام الدليل عليه سواء كان الدليل عقلياً أو نقلياً أو لدنياً ثانياً، فيرتقي إلى مرتبة العلم أو التصديق المنطقي، وإذا ترتب على التصديق المنطقي أثر عملي أو تطبيقي، فهنا يحصل الايمان.

❖ المطلب الثاني: الإمكان والوقوع

المعرفة (العلم) والأيمان: تعتبر العلاقة بين المعرفة والايمان من أكثر المشكلات الاساسية التي نوقشت في التراث الفلسفي اللاهوتي بشكل عام، وكذلك الحال في الفكر الاسلامي بشكل خاص. من أكثر العبارات اللافتة للنظر التي تعكس التوتر في العلاقة بين المعرفة والمعتقد في الفكر الغربي عبارة كانط ((كان علي أن أنكر المعرفة لإفساح المجال للإيمان.» ١٧٢٤-١٨٠٤»))[1] يفترض أن مجال معرفة الإنسان يقتصر على عالم الحقائق، بما أن الله الذي هو موضوع الإيمان النهائي لا يمكن إدراكه بالحواسّ، فإن الشخص الذي يؤمن يتجاوز مجال المعرفة. أن قضايا مثل وجود الله ووحدته تدرك بالعقل فإن الأمور مثل كون الله واحدا وكونه ثالثة، وكل إنسان يرث الخطيئة مع الولادة، هي حقائق إيمانية مسيحية فوق عقلانية، لا يمكن معرفتها إلّا من خلال الوحي. إن تقديم باسكال (١٦٢٣-١٦٦٢) للإيمان كموضوع رهان، وتسليط جيمس (١٨٤٢-١٩١٠) الضوء على الجانب البراغماتي للإيمان، وجهود بلانتينغا ١٩٣٢ لتضمين الايمان بالله ضمن المعتقدات الأساسية، ومقاربات الحقيقة المزدوجة لا[2]، يمكن اعتبارها على أنها تعبيرات مختلفة عن جهود المسيحية لإبقاء افتراضات المعتقدات بعيدة عن التبرير العقلاني ومسألة «الحقيقة[3].»عندما ننظر إلى الموضوع من وجهة نظر الفكر الإسلامي وهو موضوعنا الرئيسي، يجب أن نعلن أوّلا أنه الا

(1) Immanuel Kant, Critique of Pure Reason, çev. W. S. Pulhar (Cambridge: Hackett Pub. Comp., 1996), p.31.

(٢) كان القديس توما -كما عُرف بالعربية أحياناً- توماس (٦٢٢هـ-٦٧٣ه) (ولد وتوفي في السابع من مارس/ آذار ١٢٧٤) راهباً دومينيكانياً، وفيلسوفاً، وكاهناً كاثوليكياً، ومَلفاناً في الكنيسة الكاثوليكية. فهو عالم لاهوت، وفقيه مؤثر للغاية في تقليد الفلسفة المدرسية السكولاستية يحدد الاسم الأكويني أصول أجداده في منطقة أكوينو في لاتسيو الحالية في إيطاليا.

(3) Richard Amesbury, "Fideism", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2017 Edition), ed. Edward N. Zalta, forthcoming.

تعارض بين المعرفة والإيمان في الاسلام، على العكس من ذلك، يتطلب أحدهما الآخر. الإنسان كمخلوق في الفهم الاسلامي ومبادء علم الكلام، له عقل وإرادة، هو المرسل إليه أو المخاطب بالعرض الإلهي، ويعرف بانه مكلف مسؤول. يقدم القرآن عرضا حول مبادئ العقيدة والأخلاق للإنسان، الذي يواجه مسؤولية شرح وجود نفسه والكون الذي يعيش فيه، كمخلوق عقلاني وصاحب إرادة، ويطلب من المرسل إليه أو المخاطب تقييم هذا الاقتراح باستخدام عقله. عندما ننظر في الكثير من الآيات الواردة في القرآن مثل)أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)، (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). القاسم المشترك لكلا الطرفين هو عدم استخدام لعقولهم وعدم التساؤل، وكونهم أسرى لتحيزاتهم وأحكامهم المسبقة. واجب الانسان معرفة الله، أي معرفة وجود الله يعكس مبدأ الواجب الأول للمكلف هو معرفة الله» ضرورة العلاقة بين المعرفة والايمان في التقليد الإسلامي، ويشير ضمنيا الى انه من الممكن وجود الله، وأن وجود الله يمكن معرفته. من أجل معرفة وجود الله بالأدلة، من الضروري التفكير والاستدلال. إن كلمة «النظر» مأخوذة مباشرة من القرآن، وهي من أهم المصطلحات المستخدمة في أدب الفلسفة اللاهوتية بمعنى التفكير والاستدلال واكتساب المجهول من المعلوم وإذا كان المنطق/ النظر ضروريا للبشر من أجل معرفة وجود الله وإدراك ذلك، فمن الضروري التفكير والاستدلال، لأن الشيء الذي يحدث به الضروري سيكون ضروريا أيضا.

لقد أشار الجصاص، وهو أحد أبرز الشخصيات في الفقه[1] الحنفي، إلى الآيات القرآنية ذات الصلة. ويقول ان الذين يسلكون طريق دين أباءهم بشكل أعمى ودون استجوابٍ أو استخدام للعقول هم مثل الحيوانات، ربما في مكانة أدنى منهم. وعلى حد قوله أيضا فانه من العبث أن يغلق من له عينان تبصران عينيه ويسد من له آذان تسمع أذنيه، كذلك هو حال من لا يستعمل عقله مع أن له عقلا، هو في نفس العبث. الإنسان الذي يخاف المنطق ويمتنع عن التفكير قد حكم على نفسه بمستوى من الوجود دون ما عنده، لأنه ترك أهم موهبة أعطاها الله له.[2]

ومن وجهة نظر النسفي، فإن الشخص الذي ليس لديه معرفة بوجود الخالق، ووحدته وضرورة إرسال الرسل لا يمكن أن يطلق عليه اسم المؤمن حتى لو أكد على ذلك. وسبب ذلك هو أن مجرد «التصديق» «لا يعني الايمان. من أجل أن يكون التصديق مؤهلا كعقيدة يجب ان يفي بشروط معينة، أي يجب أن يستند

(١) الفقه الأكبر مصطلح اهل المذهب الحنفية المرادف للعقيدة.
(٢) الفصول في الأصول تحقيق النشمي، إلمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، الكويت ١٩٩٤، ٣/ ٣٧٩ .

الادلة. وبحسب النسفي، فإن الايمان لا يعني ّ التصديق في القاموس، كفعل متعدي في شكل إفعال مشتق من الجذر أمن، الإيمان يعني إدخال النفس في الأمان، وضع الذات في الثقة الامان. لنفترض أن ً قد وصل لكم خبر ما؛ في حال بحثتم في هذا الخبر وأكدتم دقته بناء على الادلة، فستشعرون بالأمان. كيف يمكن لشخص يعيش في مستوطنة داخل منطقة زلزالية ولم يكن متأكدا من جودة بناء المنزل الذي يعيش فيه، أن ينام بشكل مريح في ذلك ّالمنزل؟، بشأن ما لا يعرفه؛ إن المرء سوف يشعر بالخوف، فإن شعور المؤمن بالأمان يعني تحقيق راحة البال التي تأتي من العثور على إجابة مرضية قائمة على الأدلة للسؤال الوجودي حول ما هو المبدأ النهائي للوجود والواقع. كما قال النسفي، التأكيد الذي لا يستند إلى دليل الا يمكن تعريفه على أنه إيمان. لأنه حيثما لا توجد معرفة، لا يمكن أن تكون هناك ثقة وسلام.[1] لذلك، بالاتفاق مع الماتريدي، يمكننا أن نقول إن من يثبت ادعاءه بالحقيقة الدينية بإثبات منطقي ويطرح حجة قوية لإقناع محاوريه غير العنيدين، فإن هذا الشخص يسير على الطريق الحق.[2]

❖ المطلب الثالث: الإلحاد كحكم

إن الإلحاد حكم يتوصل إليه الإنسان من خلال تصوره للموضوع، والحكم أو التصديق يأتي بعد التصور، والتصور فرع ثبوت الحكم.ومن هذه الرؤية المنطقية والعقلية نجد أن الإلحاد- بحسب الاعتقاد الأول- جاء نتيجة لبناء تصورات حول الإله المتصور عند الأديان. وعلى ضوء ذلك الترتيب المنطق والمنهجي في التفكير يطرح سؤال: هل يمكن تصور الاله، ولو تصوراً إجمالياً أم لا؟

لو جاءت الإجابة بـ(لا)، فيترتب عليها معضلة عدم إثبات الله تعالى ...والإجابة بلا شك بـ(نعم)... ولكن قد يعترض بعضهم ويقول، إن الإنسان قاصر على أن يتصور خالقه، لأنه ممكن الوجود والممكن فقير لا يستطيع أن يتصور الله تعالى الغني بالذات.

لتوضيح هذا الإشكال، لم يقل أحد من المدارس الفلسفية والعلمية بمختلف مناهجها، أن العقل يستطيع أن يتصور ذات وكنهه الخالق، بل هناك شواهد عدة في النصوص النقلية (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[3]. والفلسفية والعلمية تدل على أن العقل لا يمكن أن يصل إلى حقيقة الذات الالهية ومنتهى ما يصل اليه هو على نحو التوصيف لا على نحو التعريف والذات، لذا أكثر البراهين الكلامية والفلسفية تثبت الخالق من حيث الأوصاف، هل هو قديم أو حادث؟ أو هل هو قادر

(١) تبصرة الأدلة في أصول الدين، النسفي، ١/ ٤.
(٢) كتاب التوحيد، الماتريدي، ص ٣ .
(٣) الإسراء: ٨٥ .

أو ليس بقادر، وجسم أو ليس بجسم، متناهي أو محدود.[1]

وعليه أن معرفة الذاتيات على الاقل عند الذين ينظرون الى مبحث الماورائيات كحقل من حقول الأبحاث العقلية غير ممكنة، والإثبات من خلال التوصيف كما أشرنا.

فإثبات وجود الإله لا يحصل إلا بعد أن يتصور، فمثلاً عند الذين يعتقدون أن الله تعالى له جسم وهو كالبشر ويسوقون الادلة على ذلك، فهذا التصور المدعم بالتصديق لا يؤمن به غير الذين يعتقدون بهذا الاعتقاد. ومن خلال عملية كشف كيفية الفهم عند المعتقد، لابد أن نعرف ما هو التصور الذي يحمله المعتقد والذي كان سبباً للحكم على القضية (الإلحاد)؟

فإن معظم الفلاسفة والعلماء الذين أنكروا الاله، سببه على ما يبدو سوء تصور الدين اليهودي والمسيحي وتصور بعض الفرق الإسلامية التي تحاكي التصور اليهودي والمسيحي للإله. وهذا يجرنا إلى فتح حقل في تصور الاديان السماوية إلى الإله.

وما يثبت ذلك كثير منا من له علم بالقضية الشرعية، لكنه لا يعد مؤمناً، لعدم ترتب أثر عملي عليه. النتيجة التي نصل إليها أن الإيمان القلبي بوجود الإله فرع قيام الدليل على التصديق المنطقي والتصديق المنطقي فرع وجود تصور عن الإله.

وعلى ضوء تلك الخريطة المفاهيمية في الحكم على قضية ما، يمكننا أن نرصد الخلل في عقيدة الملحد، فالملحد الذي لا يؤمن بوجود إله سببه إما سوء التصور بخصوص الإله، أو قصور في الاثبات أو قصور في مرتبة العمل، كما عند المؤمن في الأديان، وبهذا نستطيع كشف الفهم عند المؤمن والملحد.

الخاتمة

خلصنا عبر هذا البحث إلى نتائج متعددة نذكر من أهمها:

١. إن الفطرة العقلية والبديهية يعلمها كل إنسان دون الحاجة إلى تلقين أو تعليم أو اثبات من أحد، هي معارف قبلية أودعها الله تعالى فيه، وبها يستطيع أن يهدم الإلحاد، لأن وجود الله تعالى من أوليات التفكير ولا تحتاج إلى مستويات معينة من التعليم حتى يدرك الإنسان خالقه. ولكن قد تتدخل عوامل عاضة تعيق هذا الإدراك، كيف، وان كانت تلك العوامل بفعل من يناصرون ديناً معيناً، وأن كانت من غير قصد..

(١) وإذا كان هذا في غيبٍ متعلّق بمخلوق، فكيف بغيب متعلِّق بذات الله؟! فأوْلى بالعقل أن يَقِف خاضعًا طائعًا مصدِّقًا لما جاء مِن خبر الصِّدق.

٢. الدعوة إلى الله تعالى عن طريق التأمل في صفاته وتصورها تصوراً صحيحاً، والابتعاد عن التصورات القاصرة التي يكون ضحيتها الشباب المؤمنين قبل غيرهم، وذلك من خلال اصلاح المناهج المتبعة في معظم المؤسسات الدينية، التي تصف الذات الإلهية بصفات بشرية ناقصة، لا تتوافق مع المعطيات العقلية مما تكون سبباً في إلحاد البعض.

٣. الإلحاد ظاهرة سلبية (رد فعل)، فلا بد من معالجتها بصورة معرفية.

٤. إن اسباب الإلحاد ليست دوافع وبواعث خارجية فحسب، بل لها اسباب وبواعث دينية نابعة من فهم المعتقد لدين معين .

٥. التصور الإلهي للنص العقدي ومقاصده في النصوص القران والعهد القديم عموماً تعد من أهم الدراسات وأهم الإضافات لعلم نقد العهد القديم ومن أجود أساليب التفرقة والمقارنة بين النص الإلهي والنص البشري.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

١. الإلحاد ضمن كتاب حرية الاعتقاد الديني، جورج طرابيشي، مجموعة من الكتاب، تصنيف وتقديم محمد كامل الخطيب (٢٠٠٥م)،، ط١، دمشق- سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، رابطة العقلانيين العرب.

٢. أوهام الملحدين أوهى من بيت العنكبوت، جمع وترتيب: شحاته محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين -دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية-مصر.

٣. أساس البلاغة، الزمخشري، تح محمد باسل عيون السود، (١٩٩٨م)، ط١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية

٤. اصالة الدين وفطرية الايمان، السيد علي الحسيني

٥. تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ط٣

٦. تبصرة الأدلة في أصول الدين، النسفي

٧. شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز

٨. شعب الايمان للبيهقي، ج١

٩. شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني(ت ٧٩٣ هـ)، دار المعارف، بيروت-لبنان،ط١، ١٩٨١م.

١٠. العقيدة الإسلامية و مذاهبها، قحطان الدوري
١١. الفقه الأكبر مصطلح اهل المذهب الحنفية المرادف للعقيدة
١٢. الفصول في الأصول تحقيق النشمي، إلمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، الكويت ١٩٩٤م.
١٣. الجامع الصحيح، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٢م
١٤. كتاب التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ه) التحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية – الإسكندرية، ط١٩٩٦،٢م.
١٥. الكفوي، (١٩٩٨م)، الكليات، ط٢ ،بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٦. مفهوم الالحاد في تأريخ الإسلام
١٧. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الأفريقي (ت٧١١ه)، دار صادر بيروت–لبنان، ط٣، ١٩٩٤م.
١٨. موسوعة لالاند الفلسفية، أندري لالاند، (٢٠٠١م)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، ط٢، بيروت–باريس: منشورات عويدات
١٩. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، بيروت–لبنان: دار الكتاب اللبناني،(١٩٨٢م)، ج١ مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، القاهرة: دار الشروق (٢٠٠١م)، ط٩
٢٠. رحلة العلم من الإلحاد إلى الإيمان، محمد عادل الحلو، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، (٢٠١٧م)، ط٣
٢١. مريخ: عصام، نُشر على موقع: مركز يقين، بتا م، ٢٠١٧ / ١٢ / ١٤.
٢٢. مَوسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجي، شارلوت سيمور سميث، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
٢٣. مجموعة الحواشي البهية على شرح العقائد النسفية، ط١ ٢٠٠٨، ج١.
٢٤. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ ه)، دار المعرفة، بيروت،ط٣، ١٩٩٣م.
٢٥. نفسية الالحاد، ايمان فاقد الاب، طبعة الثانية، ٢٠١٣، paul c vitz ترجمة مركز الدلائل.
٢٦. النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية و أسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها، دراسة

نقدية المؤلف حسن بن محمد حن الاسمري، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٢٧. لوامع الانوار الإلهية، ج١.

1-Immanuel Kant, Critique of Pure Reason, çev. W. S. Pulhar (Cambridge: Hackett Pub. Comp., 1996)

2 -Richard Amesbury, «Fideism», The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2017 Edition), ed. Edward N. Zalta, forthcoming

Sources and References:

• The Holy Quran.

1. Atheism in the book Freedom of Religious Belief, George Tarabishi, a group of writers, classified and presented by Muhammad Kamil Al-Khatib (2005), 1st ed., Damascus-Syria: Petra Publishing and Distribution House, Arab Rationalists Association.

2. The Delusions of Atheists Are Weaker Than a Spider's Web, compiled and arranged by: Shahata Muhammad Saqr, Dar Al-Khulafa Al-Rashidin - Dar Al-Fath Al-Islami, Alexandria-Egypt.

3. The Foundation of Eloquence, Al-Zamakhshari, edited by Muhammad Basil Ayoun Al-Sud, (1998), 1st ed., Beirut-Lebanon: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah

4. The Authenticity of Religion and the Innateness of Faith, Sayyid Ali Al-Hussaini

5. Clarification of the Lie of the Slanderer in What is Attributed to Imam Abu Al-Hasan Al-Ash'ari, Ali bin Al-Hasan bin Hibat Allah bin Asakir, 3rd ed.

6. Insight into the Evidence in the Principles of Religion, Al-Nasafi

7. Explanation of the Creed of Al-Tahawiyyah by Ibn Abi Al-Ezz

8. The Branches of Faith by Al-Bayhaqi, Vol. 1

9. Explanation of the Objectives, Saad Al-Din Al-Taftazani (d. 793 AH), Dar Al-Maaref, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1981.

10. Islamic Creed and its Schools of Thought, Qahtan Al-Douri

11. The Greater Jurisprudence, the Term of the Hanafi School of Thought Synonymous with Creed

12. Chapters in the Principles, edited by Al-Nashmi, Ilmaam Abu Bakr Ahmad bin Ali Al-Razi Al-Jassas, Kuwait 1994.

13. Al-Jami` Al-Sahih, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Bukhari, Dar Tawq Al-Najah, Beirut-Lebanon, 1st ed., 2002

14. Kitab Al-Tawhid, Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud, Abu Mansur Al-Maturidi (d. 333 AH), Investigation: Dr. Fathallah Khalif, Dar Al-Jama`at Al-Masryia - Alexandria, 2nd ed., 1996.

15. Al-Kafwi, (1998), Al-Kulliyat, 2nd ed., Beirut: Al-Risalah Foundation.

16. The Concept of Atheism in the History of Islam

17. Lisan Al-Arab, Muhammad bin Makram bin Manzur Al-Ansari Al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sadir Beirut-Lebanon, 3rd ed., 1994.

18. Lalande Philosophical Encyclopedia, Andre Lalande, (2001), Lalande Philosophical Encyclopedia, translated by Khalil Ahmed Khalil, 2nd ed., Beirut-Paris: Awidat Publications

19. Philosophical Dictionary, Jamil Saliba, Beirut-Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Lubnani, (1982), Vol. 1 Contemporary Intellectual Schools, Muhammad Qutb, Cairo: Dar Al-Shorouk (2001), 9th ed.

20. The Journey of Science from Atheism to Faith, Muhammad Adel Al-Helou, Cairo: Dar Al-Masryah Al-Lubnaniah, (2017), 3rd ed.

21. Mars: Issam, published on the website: Yaqeen Center, Beta M, 12/14/2017.

22. Encyclopedia of Anthropology, Anthropological Concepts and Terminology, Charlotte Seymour Smith, translated by a group of sociology professors under the supervision of Muhammad Al-Jawhari, National Center for Translation, second edition, 2009.

23. Collection of Bright Notes on the Explanation of the Nasafi Creeds, 1st ed. 2008, Vol. 1.

24. Religions and Sects, Abu al-Fath Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abi Bakr Ahmad al-Shahrastani (d. 548 AH), Dar al-Ma'rifah, Beirut, 3rd ed., 1993.

25. The Psychology of Atheism, The Faith of the Fatherless, 2nd ed., 2013, Paul C. Vitz, translated by the Evidence Center.

26. Modern Scientific Theories, Their Intellectual Journey and the Method of Arab Westernization in Dealing with Them, A Critical Study by Hassan ibn Muhammad Han al-Asmari, 1st ed., 2012.

27. Gleaming Lights of the Divine Lights, Vol. 1.

1Immanuel Kant, Critique of Pure Reason, çev. W. S. Pulhar (Cambridge: Hackett Pub. Comp., 1996(

2 -Richard Amesbury, «Fideism», The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Fall 2017 Edition), ed. Edward N. Zalta, forthcoming